الدور الايراني ـ السوري المحتمل في العراق: فخ امريكي جديد

سعد داود قرياقوس *

■ يبدو ان القيادتين الايرانية والسورية قد توصلتا منذ فترة قصيرة الى قناعة مشتركة في ان المشروع الامريكي في المنطقة قد وصل الى طريق مغلق، وذلك اثر نجاح المقاومة الوطنية العراقية في تعطيل مشروع الاحتلال وافشال كل مخططاته واهدافه، وان اخفاق ادارة بوش في العراق قد انتج فراغا سياسيا لا يملك حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة القدرة على ملئه. وعليه فان في وسع القيادتين وحلفائهما استثمار هذه الفرصة التاريخية، والتحرك لملء الفراغ من خلال القيام بدور مشترك في العراق يساعد الادارة الامريكية على تجاوز مطبها، ويُعينها على حسم الصراع مع المقاومة الوطنية العراقية لصالحها.

من البديهي ان القيام بهذا الدور لن يكون بدون مقابل. والمقابل لا بد وان يكون توسيع الدورالاقليمي للدولتين وحلفائهما، ورفع اسم القيادتين من قائمة اعداء الادارة وحسم الازمات العالقة مع ادارة بوش، واهمها الملف النووي الايراني، وملفا التواجد السوري في لبنان واغتيال رفيق الحريري، بالاضافة الى المطالبة في تخفيف الضغط على حزب الله.

هذا الاستعداد الايراني ـ السوري قد تم تمريره الى اوساط قريبة من الادارة الامريكية وحلفائها سواء بشكل مباشر او غير مباشر، منها الدعوة التي وجهها عبد العزيزالحكيم قبل اشهرلاجراء حوار ايراني ـ امريكي مباشر من اجل التعاون لايجاد حل للأزمة في العراق. وبالفعل، فان اوساطا عديدة التقطت الرسالة الايرانية ـ السورية، واعتبرت دورهما خيارا مقبولا لحل مأزق الادارة. وضمن هذا السياق جاءت تلميحات جيمس بيكر والسناتور جوزف بايدن، واشارات توني بلير، ورئيس الوزراء الاسترالي جون هاورد، الى دور سوري ـ ايراني محتمل في تثبيت الاستقرار في العراق واهمية هذا الدور، الا ان ادارة بوش لم تحدد موقفها من الفكرة بل تركتها فكرة عائمة دون ان يصدر عنها ما يعكس موافقتها او رفضها للفكرة!

من جانبهما، فان القيادتين الايرانية والسورية التقطتا ترحيب الاوساط القريبة من الادارة الامريكية بالفكرة، وقرأتا هذا الترحيب بالشكل الذي ارادته لهما ادارة بوش ان تقرآه. فسارعت القيادة السورية من جانبها وبعجالة واضحة وغير متوازنة الى ادخال تغييرات على موقفها من الازمة العراقية. اول تلك التغييرات برزت في زيارة وزير الخارجية السوري الى بغداد، وما نتج عنها من اعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة، والاتفاق على ترتيبات امنية جديدة بين البلدين. اما القيادة الايرانية، فلقد سارعت واستقبلت الطالباني بحفاوة مبالغ فيها ولا تنسجم مع حجمه ودوره في العراق. فالايرانيون يدركون بان عميل مخابراتهم القديم لا يملك حرية زيارة مسقط راسه في كويسنجق دون اذن مسبق من زلماي خليل زادة؟

ما هي ارضية الدورالسوري ـ الايراني، ومن اين يستمد مقوماته وقوته؟

ولماذا الربط بين ادوار البلدين؟

الدورالمشترك المشار اليه وفقا لتصورات القيادتين ورؤية بعض اللاعبين الدوليين، يستند الى تاثير النظامين على الاطراف العراقية المؤثرة على معادلة الصراع الداخلي. الاشكال هنا ان أيا من القيادتين لا تتمكن بشكل منفرد من التاثير على موقف جميع الاطراف، فالتأثير الايراني يتوقف عند حدود «الاحزاب الشيعية وميليشياتها»، في حين ينحصر تاثير القيادة السورية «المفترض» على «القوى والاحزاب السنية»، او على فصائل معينة في المقاومة وعلى مجموعة من الاحزاب السياسية العراقية الرافضة للاحتلال. لذلك فان تقديم حل للمأزق الامريكي يفرض اشراك كلا القيادتين في ترتيبات جديدة، ويتطلب منحهما ادوارا تكاملية من اجل التاثيرعلى جميع الاطراف العراقية!

بالرغم من كل ما يشاع عن وعي واقتدار القيادتين السورية والايرانية، وادراكهما لمفردات السياسية الدولية، الا ان تورطهما في اية ترتيبات شراكة مع الادارة الامريكية في تثبيت احتلال العراق، سيبرهن على قصر نظر سياسي واسع، ومغامرة فاشلة ذات تبعات كبيرة على امن شعب البلدين وامن المنطقة ككل. أن تمنح ادارة بوش للبلدين دورا في العراق لا يعدو كونه الا عملية توريط، وجر قيادة البلدين الى معركة لا طاقة لها بها، وتحميلها تكاليف سياسية واقتصادية كبيرة، ولا سيما للقيادة السورية. فاذا كان في وسع القيادة الايرانية التأثير على القوى المؤمنة بالمرجعية الدينية والسياسية الايرانية، واذا كانت امكاناتها المالية تمكنها من بلورة المواقف السياسية وتغييرها، فان القيادة السورية لا تملك مثل تلك الامكانيات المالية، ولا قوة التأثير على القوى والشخصيات السياسية العراقية، باستثناء تاثيرهم المحدود على الذين دفعتهم الظروف الامنية السيئة في العراق للإقامة في دمشق بشكل مؤقت.

ابعاد الفخ الامريكي المعد للقيادتين الايرانية والسورية واضحه، فادارة بوش تدرك مسبقا محدودية تأثيرالقيادتين على معادلة الصراع، وتدرك ايضا بان مساهمة البلدين في مشروع مشترك لسحب الغول الامريكي من رمال العراق الناعمة عملية محسومة الفشل، وان مشاركة عضوي «محور الشر» قد تساعدها على خلق غطاء عربي او اقليمي لأي عمل عسكري امريكي موجه ضد ايران.

ان متغيرات معادلة الصراع في العراق معروفة، واطرافها الاساسية مشخصة. انه صراع بين شعب العراق ومقاومته الوطنية من جانب، والقوات الامريكية وحلفائها المهزوزين من جانب آخر. ومن هنا فان اشكالية القيادتين وفشل دورهما يكمنان في انعدام تاثيرهما على قرارات طرفي الصراع، ولا سيما انعدام تاثيرهما على قرارات المقاومة الوطنية العراقية السياسية منها والعسكرية.

التلميحات الامريكية المبطنة لدور ايراني ـ سوري في العراق لا تتجاوزاذن عملية توريط امريكي للبلدين، وحلقة من حلقات المخطط الامريكي لتوسيع نطاق الاحتقان الطائفي في العراق الى المنطقة، وتأسيس تخندق جديد في المنطقة قائم على اسس طائفية، وخطوة تساهم في ارجاع العربة الامريكية المتأرجحة الى مسارها، وانجاح مشروع احتلال العراق. فأي تغيير او تحرك امريكي في المنطقة لا بد وان يكون في المحصلة النهائية موجها نحو تحقيق هدف خنق المقاومة الوطنية العراقية، العائق الوحيد امام تنفيذ المشروع الامريكي في المنطقة ونجاحه.

في ظل هذه المسلمة الوطنية، ما هو مستقبل الدور الايراني ـ السوري في العراق؟

في تقديرنا، اذا اصرت القيادة السورية على مواصلة لعب الدور الجديد، فانه لن يمر وقت طويل الا وتدرك القيادة السورية ارتكابها خطأ سوقيا كبيرا، وانها اخطأت في حساباتها، وانزلقت في فخ امريكي محكم، لن تتمكن من الخروج منه دون دفع تكاليف وطنية وعربية باهظة.

اذا كانت القيادة السورية تعتقد بانها قادرة على ترويض فصائل المقاومة الوطنية العراقية، والتأثيرعلى قراراتها وثوابتها السياسية، او مواجهتها عسكريا، فنصيحتنا لها ان تعيد حساباتها وتراجع تطورات الوضع في العراق بدقة وتأن. واذا تصورت بان لها قدرة على التحكم في القرارالسياسي الوطني العراقي، فهي على وهم كبير؟

واذا كان هناك من يتصور بانه قادر على خلق « المقاومة البديل» او ايجاد بديل سياسي عراقي لقيادة المقاومة باستخدام نفر معزول من تجار السياسة المقيمين في بيروت ولندن او دمشق، فانه على موعد مع مفاجآت كبيرة.

ليدرك كل من يحلم في المتاجرة بدماء شعب العراق، بان شعبنا لن يكون ضحية لعبة جديدة، وانه لن يدفع استحقاقات الاخرين السياسية، وان دول الجوار لن تتمكن من تسوية حساباتها مع الادارة الامريكية على حساب ضحايانا . واذا كان هنالك من قد تدفعه سذاجته ليتصور بان شعب العراق مكشوف امنيا وعسكريا، وانه لا يملك وسائل الدفاع عن وجوده ومستقبل اجياله وثروته الوطنية، نقول لاولئك: راجعوا التراكم البطولي الهائل لانجازات المقاومة العراقية السياسية والعسكرية، وقارنوا فرضياتكم مع طروحات كولن باول ودونالد رامسفيلد وجورج تنيت وغيرهم، وستعلمون ان اي طرف يبني حساباته السياسية مفترضا قدرته على ترويض شعب العراق ومقاومته وقواه السياسية بعد ان فشلت القوة الكونية الاعظم في تحقيق ذلك، لا يملك بالتاكيد اي قدر من الوعي والنضج السياسي.

ثم ان هنالك حقيقة لا بد للقيادتين الايرانية والسورية إدراكها. ان هنالك الكثير من المؤشرات التي تدل على ان مرحلة التقاء المصالح الامريكية ـ الايرانية قد اوشكت على النهاية، وان الكثير من المراقبين باتوا يراهنون على قرب اعلان الطلاق على الرغم من مكابرة «الزوجة» الايرانية وتشبثها واستعدادها للعودة الى بيت الطاعة. فكل الدلائل تشير الى وجود قرار رئاسي لانهاء العلاقة مع اولئك الذين سهلوا للشيطان الاكبر استباحة الشعبين العراقي والافغاني . وان الاهداف قد تم تثبيتها على خرائط البنتاغون، وفقا لما ورد في مقال للكاتب الامريكي المعروف سيمور هرش (مجلة «نيويوركر» قبل اشهر).

في مقابلة متلفزة قبل ثلاثة اسابيع بعث نائب الرئيس الامريكي « ديك تشيني» برسالة واضحة لمن يهمهم الامر. في تلك المقابلة أوضح «تشيني» الصورة كما يلي: بما ان الرئيس بوش لا يحق له اعادة ترشيح نفسه لفترة رئاسية ثالثة، ولكونه لا ينوي ترشيح نفسه للرئاسة، فانهما لا يملكان ما يمكن خسارته خلال الفترة المتبقية من الرئاسة، وعليه فانهما سوف يمضيان في برنامجهما قدما وباقصى سرعة! فحوى رسالة تشيني واضحة، فهو يشير الى عزم الادارة على تنفيذ مشروع المحافظين المحدثين، وتعظيم ربحية شركاتهم النفطية والاستثمارية الاخرى، من خلال توسيع مساحة الدمار والموت في المنطقة. وجاءت زيارة تشيني القصيرة الى الرياض، التي تلت زيارة ايهود اولمرت لواشنطن، وما سرب عن اهدافها لتؤكد هذا التوجه. فلقد تحدثت اوساط امريكية عديدة عن قيام تشيني بعرض مفردات خطة قصم ظهر الايرانيين على الملك عبد الله في اجتماع مغلق شبيه بذلك الذي عقده مع الملك فهد عام 1990 قبل ضرب العراق. هذه الانباء دفعت بعض الخبراء الماليين الى توقع حدوث صدمة في اسواق النفط الخام خلال العام القادم تقود الى زيادة كبيرة في الاسعار، ومن ثم زيادة قيمة اسهم الشركات النفطية!

هنالك اكثر من مؤشر على ان سماء ايران ستمطر الآلاف من صواريخ التوماهوك والكروز، وغيرها من ادوات الدمار قبل انتهاء فترة الرئاسة الامريكية الحالية. وان التدمير لن يقتصر على المنشآت النووية الايرانية، بل يشمل قائمة طويلة من المرافق العامة، والبنى الارتكازية الايرانية، سواء اضطلعت ايران بدور في العراق او لم تضطلع.

من المؤكد ان اي هجوم امريكي واسع ومدمر لايران سيضع القيادة السورية في موقف معقد بالغ الصعوبة. فايران لن تكون قادرة على تقديم اي دعم عسكري لحماية سورية، او حزب الله اللبناني في حالة تعرضهما لاعتداء «اسرائيلي» متزامن مع الضربة الامريكية لايران، كما ان الخيارات المتاحة امام سورية لدعم الحليف الايراني شبه معدومة. ازمة القيادة السورية قد تتصاعد حدتها في حالة مشاركة سورية في ترتيبات امنية وسياسية في العراق لسببين: الاول فقدان سورية للعمق العراقي ودعم المقاومة الوطنية العراقية جراء حرق القيادة السورية اوراقها مع المقاومة العراقية. والثاني تأزم علاقاتها مع دول «الدرع السني» المتكون من المملكة العربية السعودية، امارات الخليج العربي ومصر والاردن، والتي ستوفر الغطاء المطلوب للعمليات العسكرية الامريكية ضد ايران بدون ادنى شك.

ان من السذاجة ان يتصور البعض بان الادارة الامريكية مستعدة لتجيير هيمنتها الراهنة على حقول النفط العراقية لسيطرة آيات الله! او انها قد تساعدهم على التهام حقول النفط العراقية وزيادة حجم خزينهم النفطي، وان تمنح الادارة الامريكية اعداءها قوة التحكم على جزء كبير من الانتاج النفطي العالمي، وبالتالي القدرة على تهديد جدي للنمو الاقتصادي للولايات المتحدة، واستقرارالاقتصاد الدولي. فالخزين النفطي «للشرق الاوسط» قد حدد كأحد ثوابت السياسة الخارجية الامريكية منذ عام 1953، وان الولايات المتحدة قد اكدت استعدادها لاستخدام القوة النووية من اجل تامين انسياب النفط للاقتصاد الامريكي، كما نصت عليه ما يعرف بنظرية كارتر. فهل هنالك حقا من يتصور بان ادارة بوش– تشيني النفطية ستتخلى عن حقول النفط العراقية وتجيرها الى النظام الايراني عبر ما يطلق عليها البعض صفقة «بيع الاحتلال»!؟

اننا بكل تأكيد غير معنيين ولا حريصين على امن ومستقبل الدولة الايرانية، اذا ما وضعنا الاعتبارات الانسانية جانبا. ولدينا اكثر من سبب مشروع لهذا الموقف. فالقيادات الايرانية المتعاقبة والاخيرة منها بشكل خاص سعت جاهدة الى تهديد امن واستقرار شعب العراق والحاق الاذى به. فالقيادة الايرانية الحالية تتحمل جانبا كبيرا من تبعات الكارثة التي يتعرض لها شعبنا، وانها ساهمت بشكل مباشر في تسهيل الاحتلال الامريكي للعراق، هذه الحقيقة اعترف بها علنا اركان القيادة الايرانية .

بل جل ما يعنينا هو امن وسلامة شعبنا في سورية. لذلك نتمنى بصدق ان تعي القيادة السورية تبعات تورطها في مشروع تكريس الاحتلال الامريكي لشعبنا في العراق، وان تعي حجم المخاطر الامنية والنفسية لهذا التورط على الشعب العربي، قبل الاقدام على المشاركة وللمرة الثانية خلال عقد ونصف من الزمن في شن حرب على شعب العراق.

ومع تقديرنا لحق القيادة السورية والشعب السوري في تحديد مساراتهم السياسية، الا ان الخيارالقومي الصائب الوحيد المتاح للقيادة السورية خلال هذه المرحلة ينحصر في ضرورة تجنب تقديم اي عون لمشروع احتلال العراق، وايقاف عمليات التطبيع مع حكومة عميلة مفروضة على شعب العراق من قبل محتل اجنبي، حكومة ودولة لا تتوفر فيهما ادنى مقومات الشرعية الوطنية. كما عليهم تقديم الدعم المطلق لشعب العراق ومقاومته، ودعم واسناد القوى السياسية المناهضة للاحتلال.

ان على القيادة السورية، بل على قيادات جميع الاقطارالعربية العمل الفوري على رد الجميل الى فصائل المقاومة العراقية، فلولاها، ولولا تضحياتها، لكانت تلك القيادات مشردة ومطاردة، وكانت عواصمها محتلة. فهل يعي الرفاق هذه الحقيقة؟

ثمة سؤال نود طرحة على القيادتين السورية والايرانية في ختام هذه المساهمة. ان قيمة الاوراق التفاوضية التي قد تمنح لكم مقابل مساعدتكم في تكريس الاحتلال الامريكي للعراق، تعتمد على تأثيراتكم وعلاقاتكم المفترضة مع فصائل المقاومة الوطنية العراقية. ماذا لو اتصلت الادارة الامريكية بفصائل المقاومة مباشرة، وتوصلت الى ترتيبات تنهي الاحتلال، وهي احتمالات متوقعة ومحتملة جدا، ماذا ستكون قيمة اوراقكم التفاوضية حينذاك؟

* استاذ قسم الاقتصاد، جامعة اوتاوا، كندا

اقتراح هوكينج لتدارُك خطر زوال البشر!

جواد البشيتي*

■ نادرا ما يقبل عالم الكونيات البريطاني الشهير، والمُقْعَد، ستيفن هوكينج التحدُّث إلى وسائل Stephen Hawking الإعلام. لقد تحدَّث، قبل بضعة أيام، إلى هيئة الإذاعة البريطانية، فأعرب عن اعتقاده بأنَّ الجنس البشري مهدَّد بالزوال إذا لم يسارع إلى تطوير تكنولوجيا ووسائل نقل فضائية، تمكِّنه من استيطان كواكب "ملائمة" في مجموعات شمسية أخرى، فليس في مجموعتنا الشمسية من الكواكب التي تلائم الاستيطان البشري.

والمشكلة الكبرى التي لم تُحل حتى الآن، والتي لا بد من حلها تلافيا لكارثة كونية، أو من صنع البشر، يمكن أن تؤدي إلى زوال الجنس البشري، تكمن في عجز البشر العلمي ـ العملي، أو التكنولوجي، عن إيجاد بديل من الوقود الكيميائي التقليدي الذي يستخدمونه الآن قوة دفع لصواريخهم الفضائية، فالوصول إلى أقرب كوكب ملائم للاستيطان البشري بمركبات فضائية تستخدم مثل هذا الوقود يستغرق نحو 50 ألف عام!

وفي سعيه إلى البحث، أو إلى التشجيع على البحث، عن حل ثوري لتلك المشكلة، تحدَّث هوكينج، مؤلِّف كتاب "تاريخ مختَصَر للزمن"، عن استخدام مركبات فضائية على غرار "ستار تريك" Star Trek وعن سفينة النجوم الخيالية "انتربرايز" التي تَسْتَخْدِم قوة دفع تسمح لها بالسير في الفضاء بسرعة تفوق سرعة الضوء، فتَنْتَقِل "لحظيا" إلى الموضع الكوني الذي تريد. لَمْ يَقُلْ هوكينج بقوة دفع كهذه؛ لأنَّ القول بها ينطوي على انتهاك كبير لقانون فيزيائي من أهم قوانين نظرية "النسبية" لآينشتاين هو قانون استحالة أن يتخطى أي جسم، أو جسيم، أكان له كتلة أم لم يكن، في سرعته، سرعة الضوء، التي هي السرعة العظمى في الكون.

هوكينج انتقل، في حديثه النادر، من روايات الخيال العلمي، إلى بعض النظريات والحقائق الفيزيائية، في سعيه إلى إيجاد حل لمشكلة القوة الدافعة للصواريخ الفضائية، فأوضح أنَّ تطوير تكنولوجيا تسمح لنا بالإفادة من "الطاقة الخالصة" ـ المتأتية من تفاعل جسيمات المادة مع جسيمات المادة المضادة، كعملية تصادم الإلكترون وجسيمه المضاد البوزيترون ـ في الحصول على قوة دفع لصواريخنا الفضائية تمكِّننا من السفر في الفضاء بسرعة تقل قليلا عن سرعة الضوء التي تبلغ 300 ألف كيلومتر في الثانية الواحدة.

الحل الذي يتوقَّعه هوكينج يقوم أولا على تكنولوجيا تسمح للبشر بالحصول على "الطاقة الخالصة" مما يسمى عملية "الفناء المتبادل للمادة والمادة المضادة"، فهذا المَصْدَر من الطاقة هو، بحسب ما يأمل ويتوقع هوكينج، الذي يمكنه تزويدنا قوة الدفع الصاروخية تلك. ولكن، ثمة مشكلة أخرى لا بد من حلها، إذا ما حللنا مشكلة "قوة الدفع"، هي أنَّ الوصول إلى كواكب ملائمة للاستيطان البشري يستغرق، ولو سافرنا في الفضاء بسرعة تقل قليلا عن سرعة الضوء، زمنا طويلا جدا.. مئات، أو آلاف، أو ملايين، أو مليارات، السنين، فكيف الحل؟!

الحل جاء به آينشتاين إذ اكْتَشَفَ، وإذ أقيم الدليل الفيزيائي ـ العملي على صحَّة اكتشافه، أنَّ الزمن يتباطأ في مركبة فضائية تسير بسرعة قريبة من سرعة الضوء. ولا شك في أنَّ هوكينج المؤمن بهذا الذي جاء به آينشتاين، أي "تباطؤ (أو تمدُّد) الزمن"، لا يرى مشكلة في سفر الإنسان إلى كوكب يبعد عن الأرض مسافة يقطعها الضوء في زمن مقداره مئات، أو آلاف، أو ملايين، أو مليارات، السنين.

هذه المقالة الصحافية لا تسمح لنا بالتحدُّث عن هذا الأمر إلا بالمختَصَر المفيد. وما سنقوله، في هذا المختَصَر المفيد، ليس من الخيال العلمي، في جوهره ومبدأه، فبعض التجارب الفيزيائية العملية أقامت الدليل على صحَّته. إذا سافر إنسان في مركبة فضائية بسرعة قريبة من سرعة الضوء (290 ألف كيلومتر في الثانية الواحدة مثلا) إلى كوكب يبعد عن الأرض مسافة يقطعها الضوء في زمن مقداره، مثلا، 10 ملايين سنة فإنه يستطيع الوصول إلى هذا الكوكب، والعودة منه إلى الأرض، في زمن مقداره، مثلا، 10 ساعات، بحسب ساعة هذا المسافر (التي تباطأ سير الزمن فيها).

هذا المسافر لم يَزِدْ عُمْره فعلا سوى 10 ساعات؛ ولكن عُمْر الأرض زاد بنحو 12 مليون سنة. مسافرنا هذا سيعود إلى الأرض ليجد أنَّ 12 مليون سنة قد مرَّت على الأرض بينما هو زاد عمره 10 ساعات فحسب. معنى ذلك أنَّ السفر في الفضاء بسرعة قريبة من سرعة الضوء يسمح لأي إنسان شاب أن يصل إلى كوكب يبعد عن الأرض أكثر مما تبعد الشمس بملايين المرات قبل أن يشيخ أو يموت، فالسفر الفضائي بمثل هذه السرعة يطيل، ويطيل كثيرا، عُمْر الإنسان المسافر بالنسبة إلى سكان الأرض وليس بالنسبة إليه. هو سيعيش، مثلا، 70 عاما بحسب ساعته؛ ولكنه، بحسب ساعة سكان الأرض، عاش، مثلا، ملايين السنين!

* كاتب ومحلل سياسي فلسطيني ـ الاردن

من خلال المزاعم عن علاقات باسرائيل:

المعارضة في الخارج ومحاولات تشويه السعودية

أ. د. ثامر السعيد*

■ المواطن السعودي بات خبيرا بمعارضة مكسورة ومهزومة ومتكئة على عصا ملتوية ومسنودة على ادعاءات ومزاعم للنيل من السعودية، فقد وضح تماما ان الغاية عندهم تبرر الوسيلة. الصورة القاتمة التى ترسمها أمثال د. مضاوي الرشيد عن الوطن خير دليل على يأسهم وقلة حيلتهم لتمزيق الوطن وتقطيع أوصاله، ولذا صارت ادعاءاتهم لا تنطلي على احد.. فكتاباتهم تؤسس لتزييف الحقائق والديمقراطية التى يتغنون بها هي وسيلة لتحقيق المصالح الضيقة لعشيرة أو عدد من العشائر. فالحرية التي يتاجرون بها هي أيديولوجيا كاملة قائمة على الانتقام من الآخرين لإرث قديم نسجوه لأنفسهم. والمعلوم لديهم من هذا الارث مغلوط على اقل تقدير. المثير في الكتابات الأخيرة هو استخدام واستغلال قضايا العروبة وفلسطين والزج باسرائيل في نية مبيتة لتشويه صورة الحكم القائم.

هذا النوع من المقالات يلحق ضررا بالغا برسالة الأكاديميين من أمثال د. مضاوي الرشيد ويثير كثيرا من الشبهات وتكشف للدول الغربية ومؤسساتها الأكاديمية والبحثية حقيقة أهدافهم وغاياتهم. هدف هذه المقالات هو تشويه الطرف الآخر بأي ثمن بنسج الأوهام والشكوك، وزرع الفرقة بين أبناء الوطن باشاعة أجواء التآمر بالدعاوى المغرضة.

لقد استهلكت مثل هذه المقالات أكذوبة علاقات المملكة باسرائيل بصورة غير كريمة حتى أصبحت لا تستحوذ على أي قدر من الاهتمام عند المواطن العربي. وهؤلاء لا يمكن ان نسميهم بمعارضة مسؤولة لأن أي معارضة شريفة لنظام الحكم القائم الآن في المملكة العربية السعودية تتطلب اطارا سياسيا واعيا وأمينا وهذا ما تفتقده جماعات الخارج.

تعتبر مسألة تأمين حدود العراق مع دول الجوار الست واحدة من اعقد واخطر المسؤوليات الملقاة على حكومة المملكة. عملية ضبط الحدود على مدار الساعة هي من أصعب المسؤوليات ليس لدول العالم الثالث التي تفتقر للأنظمة الحديثة للمراقبة بل صعبة حتى للدول المتقدمة مثل بريطانيا وأمريكا وفرنسا. الحكومة الأمريكية منذ غزوها العراق أمدت الحكومات العراقية المتعاقبة بمعدات حديثة ولم تفلح في الحد من عمليات تهريب السلاح والأفراد.

كما هو معروف للجميع تبلغ حدود العراق مع الدول المجاورة لها حوالي 2200 ميل منها حوالي 870 ميلا مع ايران و400 مع سورية و500 ميل مع السعودية و140 مع كل من الكويت وتركيا وحوالي 70 ميلا مع الأردن. فهنالك مشاكل امنية معقدة تواجه الدول المحيطة بالعراق، وكل الحكومات التي أعقبت الحرب الأمريكية ضد صدام حسين قد اتهمت الدول المجاورة بتصدير الارهاب والسماح للارهابيين من العرب وغير العرب بالدخول الى الاراضي العراقية.

فقد صرح مدير عام حرس الحدود السعودي الفريق الركن طلال عنقاوي لوكالات الأنباء في تشرين الاول (أكتوبر) 2006، انخفاض أعداد المتسللين عبر حدود المملكة العربية السعودية مع العراق بنحو 30 الى 40 في المئة مقارنة بالأعوام القليلة الماضية، علما بان طول الحدود بينهما اكبر من المسافة بين لندن وأدنبرة. وأكدت وزارة الداخلية السعودية أخيرا، أنها بصدد بناء سياج أمني عند حدودها المتاخمة للحدود العراقية، للحد من عمليات التسلل عبر أراضيها. وقال الفريق عنقاوي، ان مؤشرات العام الحالي، تبين أن هناك انخفاضا في أعداد المتسللين، في حين أرجع هذا الانخفاض الى انضباط الحدود بين البلدين، واغلاق المنطقة الحدودية بشكل محكم، ونشر كاميرات المراقبة الحرارية. وأوضح أن هذا التقدم، الذي يحرزه قطاعه في هذا الشأن، جاء نتيجة للجهود المبذولة في لقاءات وزراء داخلية دول جوار العراق، اضافة الى تفهم الجانب العراقي لمدى الجهود المبذولة من الجانب السعودي في عملية ضبط حدود البلدين. وتوقع الفريق عنقاوي، أن يحقق التعاون الأمني الثنائي بين بلاده والعراق في المستقبل تقدما ايجابيا، على ضوء التوصيات والبروتوكولات المبرمة، الذي وقع في اجتماع وزراء داخلية دول جوار العراق في جدة مؤخرا. وعزا ضعف الوجود الأمني العراقي على حدود البلدين، للمشاكل الأمنية الداخلية، واهتمام قوى الأمن العراقي بحفظ الأمن الداخلي، فيما توقع أن تكثف الأجهزة الأمنية العراقية من وجودها في المستقبل على المنطقة الحدودية.

وكان الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية السعودي، قد أكد في تصريحات سابقة، أن بلاده ساعية في حفظ حدودها مع العراق، وخصوصا في ظل الاضطرابات الأمنية التي تعصف بالمنطقة، فيما اعتبر أن السياج الأمني الذي ستعمل بلاده على انشائه على الحدود السعودية ـ العراقية، سيوفر حماية جيدة بين حدود البلدين. وشهدت الحدود السعودية ـ العراقية، خلال السنوات القليلة الماضية العديد من عمليات التسلل، فيما تمكنت السلطات السعودية من اعتقال 6826 من المتسللين العراقيين والمهربين في النصف الأول من عام 2006، وايقاف 636 شخصاً، ومنعهم من اجتياز الحدود الشمالية للبلاد.

وارتفعت التكاليف، التي تحملتها السعودية لتأمين حدودها مع العراق الى 9 مليارات ريال حتى آب (أغسطس) 2006، مقابل 1,8 مليار ريال نهاية عام 2004. وتمكنت قوات الأمن السعودية خلال الفترة من 2001 الى اب (أغسطس) 2006 من اكتشاف 24,8 مليون قطعة ذخيرة، و26,3 ألف قطعة سلاح و4,991 رطلاً من المتفجرات، وأدت هذه الاجراءات التي اتخذها الجانب السعودي منفردا من جانبه، الى كشف شبكات مكثفة تعمل على تصنيع وتهريب المتفجرات الى الجماعات الارهابية في السعودية والدول المجاورة. واستخدمت وزارة الداخلية السعودية أحدث الوسائل لمراقبة حركة الحدود، مستخدمة في ذلك طائرات خاصة مزودة من القوات الجوية الملكية السعودية، وأجهزة رادار متطورة، ومعدات الرؤية الليلية، والمزودة من قبل وزارة الدفاع. واستعانت الداخلية السعودية في عملية ضبط حدودها بتقنية أنظمة التحكم الحرارية الحديثة والكاميرات لمراقبة الحدود، فيما بلغ عدد الوحدات الثابتة 34 وحدة حتى كانون الأول (ديسمبر) من عام 2004، كما تجاوز عدد الوحدات المتحركة 37 وحدة تم توزيعها في المنطقة على الحدود مع العراق.

التشبيه بين الجدار العنصري العازل بين اسرائيل والاراضي الفلسطينية والسياج الالكتروني بين حدود المملكة العربية السعودية والعراق هو تشبيه مخل ومغرض هدفه تحقيق مآرب سياسية لفئة ضيقة ينتمي اليها هؤلاء الكتاب. فالمملكة تستقبل طوال العام من خلال مطاراتها ومكاتبها الحدودية ملايين الزوار من مختلف أنحاء العالم يأتون في زيارات عمل أو لأسباب مختلفة، وأيضا تستقبل عشرات الملايين يأتون اليها بين شهري ذو القعدة وذو الحجة لأداء مناسك الحج وهؤلاء جميعهم يأتون من خلال الطرق القانونية وبتأشيرات دخول رسمية ومعتمدة وتوفر لهم المملكة ما تستطيع من سبل الراحة والأمان، ولكن عندما تكون حدود المملكة بهذا الاتساع وعندما تنتشر الهجرة غير القانونية بصورة هائلة دفعت كل دول العالم بدون استثناء لاتخاذ اجراءات قوية للحد منها وعندما تستخدم هذه الحدود كبوابة لتهريب المجرمين وتجارة المخدرات يصبح من الظلم بمكان مقارنة الشبكة الالكترونية فى حدود المملكة مع الجدار العازل الاسرائيلي. هذه الشبكة التي تنوي المملكة تشييدها هي أجهزة تشبه الى حد كبير الأجهزة الخاصة بالاستشعار عن بعد وهي وسيلة لاستخدام التقنية الحديثة في عمليات الرصد الالكتروني وهي ببساطة عبارة عن كاميرات حرارية للمراقبة وتستخدم الآن وبصورة يومية في المطارات والبنوك والمباني الخاصة او الحكومية وفي جميع أنحاء العالم.

التشابه المزعوم من قبل د. مضاوي الرشيد بين الجدار الاسمنتي الذي يبلغ طوله أربعة امتار الذي تشيده اسرائيل وكاميرات المراقبة الحرارية التي تستخدمها المملكة هو تشبيه مغال ومخل وغير أمين ولا يرقى ان تستند عليه الكتابة المسؤولة والهادفة. لقد سئم الجميع من الابتزاز الذي يمارسه البعض للنيل من مكانة المملكة بالحديث عن علاقات لها مع الدولة الاسرائيلية وفي اعتقادي أرى ألا تعير المملكة اهتماما بمثل هذه الأكاذيب وخيرا لها أن تركز جهودها في ما ينفع الانسانية.

المملكة العربية السعودية وأبناؤها الشرفاء تعرضوا لأقسى أنواع الهجوم غير المسبوق فى التاريخ بعد أحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) والذي طال معتقداتهم وهويتهم من بعض دول العالم، وتحملت المملكة وأبناؤها بصبر وحكمة في سبيل المحافظة على أمنها ومستقبلها الكثير من الظلم والتجني من الأصدقاء والأعداء على حد سواء. فصمدت أمام الدعاية الظالمة والإعلام الكاسر الذي حاول الصاق كل شيء بأبنائها وها هي المملكة اليوم اصلب عودا وأقوى عزيمة وماضية بكل شجاعة ووضوح لكي تصبح رقما فى السياسة الدولية رغم كيد أعدائها. فالمملكة التي انتصرت على الدعاية المغرضة التي حاصرتها في الأعوام القليلة الماضية ستنتصر أيضا على الجماعات التي تستقوي بالمؤسسات الأجنبية تارة وبالأكاذيب تارة أخرى، ولن تتهاون أبدا في المضي في رفعة ورقي شعبها ونصرة دينها وأمتها.

وأخيرا، اذا دعتك قدرتك الى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك.

* كاتب من السعودية

هيا نشترك بقتل أحبتنا العرب!

سهيل كيوان*

■ نشرت الصحف العربية (غير الحزبية) في داخل إسرائيل إعلانا لجيش (الدفاع) يدعو فيه الشبان العرب الى الخدمة العسكرية لسنتين مقابل ضمان المساواة لهم في الفرص.. أي أن يقتلوا ويُقتلوا. الإعلان صغير وغير صارخ، ولكنه نُصَّ بدهاء وكأن قلب جيش الدفاع موجوع على الشبان العرب ويقلقه جدا غموض مستقبلهم، ولن يهدأ له بال حتى يضمن لكل واحد منهم مهنة وعيشاً كريماً! بصراحة لم أنتبه للإعلان الى أن جاء رئيس إدارة الصحيفة التي أعمل بها كمحرر أدبي فجمع المراسلين والمحررين وكان الهمّ ظاهرا عليه فأخبرنا أنه اغتُصب بهذا الإعلان ولم يستطع رفض نشره لأن هذا لا يعني سوى الإغلاق الحتمي للصحيفة التي عمل على بنائها أكثر من ستة عشر عاما، والمصيبة أنّه لا يوجد أي تنسيق بين أصحاب الصحف لمواجهة حملة كهذه بسبب المنافسة المزمنة بينهم، وقال المدير: توجهت لأعضاء الكنيست العرب أن يقفوا ضد الحملة المفروضة وأن يعملوا على وقفها بالتعاون مع الصحف العربية ولكنهم لسبب ما آثروا الصمت، وبما أن التحرير مستقل عن الإدارة ومهمته تجنيد الرأي العام ضد الخدمتين العسكرية والوطنية وهو الأمر الذي فعلناه طيلة الوقت، دار نقاش بأن مهاجمة الإعلان قد تلفت الأنظار إليه ولكن في الوقت ذاته لا نستطيع الصمت على إعلان كهذا، لم يبق أمامنا سوى إعادة صياغة الإعلان في صفحة أخرى تحت عنوان: هيا نشترك بقتل أحبتنا العرب!

وأخيراً أيها الشاب العربي ستقول وداعا للخجل! فإذا سألتك يهودية مجندة أو غير مجندة جميلة أو قبيحة عن اسمك أجب بلا وجل أو خجل وبفم ملآن اسمي الجندي عبد الغفار، وثق أنها ستفكر مرتين قبل أن تبرم بوزها زعلا واشمئزازا لأنك لم تحاول حتى أن تلطف اسمك الى (دودي) أو عبودي على الأقل! فسبحان السلاح ساتر العورات!

أيها الشاب الطموح كن كلباً لا للنباح... بل لقص الأثر وعلّق مستقبلك في أنفك!

إنها فرصتك لأن تكون مستعربا! ملامحك ولغتك ستتيح لك المشي هوينى في قصبة نابلس وخزوق جباليا وحتى ملاحقة المطلوبين في عواصم محاور الخير والشر دون إثارة الشبهات، ستجد المطلوب جالسا في حضن أمه أو ز